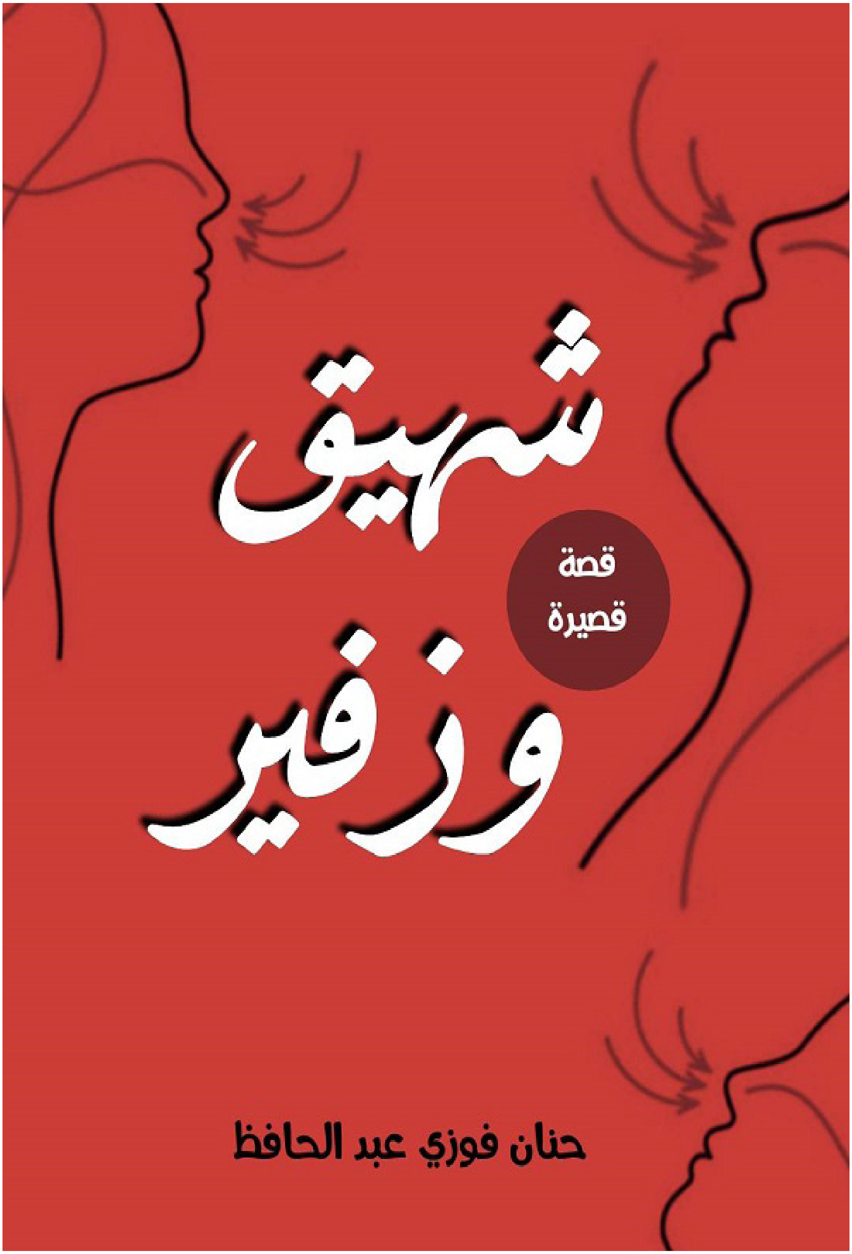
شهيق وزفير
قصة قصيرة
حنان فوزي عبد الحافظ

شهيق وزفير (قصة قصيرة)

الخازندار للنشر الالكتروني

****

العنوان :جوار مدرسة اللواء رفعت عاشور الثانوية- ميت سلسيل- الدقهلية

هاتف : ٠١٠٠٠٠٩٩٣٩٠

العنوان: شهيق وزفير

الكاتب:حنان فوزي عبد الحافظ

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

الخازندار

شهيق وزفير

قصة قصيرة

حنان فوزي عبد الحافظ

تسللت رائحة المطهرات التي تملأ المشفى إلى أنفه، مُمتزجة بزميلتها للكحول الذي أغرق به نفسه؛ فأعلنت جيوبه الأنفية اعتراضها في عطستين كتمهما بمنديل، لا مزاح مع العطس هنا!

اقترب من بدلة الحجر المُعلقة، جال برأسه: أن من أسماها بدلة لم يرتد أو يرى واحدة يومًا! إنها أقرب إلى (العفريتة) التي يلبسها صبي الميكانيكي - الذي يُفكر جديًا في أن يترك سيارته له نهائيا متنازلًا عن اليومين التي تزوره فيهما-

راح يُغرق البدلة -هي الاخرى- بالكحول، قبل أن يضعها على عجل، كالعادة شعر أنها تخنقه، لا يعرف كيف السبيل لاحتمال قماشها الثقيل في هذا الحر! ولكن لا حيلة بيده.. فليدع الله فقط أن تقوم بعملها، وتحميه من هذه الموجه اللعينة التي لا تبق ولا تذر!

أحكم اغلاق ملابسه، أتم إجراءات التعقيم ، ليبدأ رحلته في عنابر العزل الكئيبة.

بدأ بالحالات المتوسطة ؛عله يجد بُشرى تُسعد يومه، وكان له ما أراد. فالعديد من الحالات تحسن، والكثيرون يتماثلون للشفاء سريعًا.

عدد الحالات كبير؛ لن يصدق أحد أن كل هذه الأعداد بقريتهم الصغيرة، إنهم سعيدي الحظ لأن لدى قريتهم عدد من الأغنياء المُحسنين؛ تكفلوا بتهيئة وتجهيز هذه الوحدة الصحية التي صارت مستشفى صغير بفضل مساعدتهم.

وصل في رحلته للغرفة الأخيرة: الحالات الخطرة! حالتان فقط بالداخل، لكن إحداها يمزق نياط قلبه ، يعرف جيدًا أنه كطبيب عليه أن يكون مثل القنفذ تُلامسه الأشواك ولا تؤذيه.

يجب على الطبيب المُعالج أن يحافظ على هدوء أعصابه؛ حتى يستطيع معالجة المرضى؛ لو تفاعل مع كل مريض لتشتت عقله، وأصاب المريض وأهله بالتوتر بل بالرعب.

هذه كلمات أساتذته بالكلية، لكنه -رغما عنه- عندما يكون المريض طفلًا يجد الشوك إليه سبيلًا.

هذه الموجه الفيروس أكثر قوة وشراسة من سابقيه! شقيقه الأكبر كان أكثر رحمة وتمييزًا، لديه نظر- كما يقولون- ، كان ينتقى كبار السن. أن ترى عجوزًا يتألم ويضع قناع الأوكسجين ليتنفس لهو أمر-رغم قسوته- يمكن تحمله، أما أن ترى طفًلا في نفس الموضع فهذا مالا يمكنه التعود عليه.

قطع أفكاره وهو يدلف للغرفة داعيًا الله أن يكتمل اليوم كما بدأ.

أقترب من فراش الأكبر سنًا وتأمل ملامحه الشاحبة، صدره الذي يعلو ويهبط بتتابع مُرعب -رغم قناع الاوكسجين الملتصق بوجهه-

نادى الممرضة المرافقة هاتفا:

- آخر قياس أوكسجين كان إمتى؟ وكام؟
- ٧٠٪

اتجه من فوره للجسد أمامه وراح يفحصه بدقة قبل أن يلتفت إليها قائلا بحسم:

- جهزوا المريض عشان ننقله لجهاز التنفس الصناعي.

لم يكد ينهي جملته حتى هتفت بسرعه مضطربة وهي تشير للسرير المجاور:

- ده أنا كنت هقول لحضرتك أن حسين فقد الوعي هو كمان وشكله ميطمنش!

التفت بكيانه كله للطفل النحيل الذي زاده المرض نحولًا، و راح يتفحصه، و توتره يتزايد حتى توقف لحظه و نقل بصره بين الجسدين. لقد تحققت أسوأ كوابيسه. كليهما يحتاج الجهاز، و ليس لديه سوى واحد!

هل عليه تحديد من يموت ومن يعيش؟!

إنه ليس إلاهًا ليفعل! هذا ليس دوره! درس ليتعلم كيف يخفف آلام المرضى ويصف لهم العلاج، لا أن يحدد مصائرهم !

دار رأسه، لكن لا وقت لهذا؛ كل لحظة لها ثمنها الآن؛ لذا التفتت للممرضة يسألها:

- في حد من أهل المريضين موجود؟!
- أيوه أم حسين طول اليوم بتلف عالدكاترة، عشان حد يدخلها تطل عليه، و مراة أسطى حسين في الاستقبال مش عايزه تسيبة. حتى قلنا لها كذا مرة غلط عالعيلة اللي على دراعها، تسيبها شويه مع حد من أهلها و بعدين ترجع بيها ثاني.

أجابها بحسم:

- ابعثي الاثنين على مكتبي بسرعه جدا، وأبدأوا تشغيل جهاز التنفس الصناعي
- لمين؟!!
- معرفش

خرج مسرعا ليُبدل ثيابه، ويخرج بالبالطو الأبيض ليتجه لمكتبه الذي جلست فيه المرآتان ،ما أن لمحته إحداهن حتى هتفت:

- حسين حصل له حاجه يا دكتور؟ طمني الله يخليك.

أسرعت زوجة الآخر تهتف:

- و أبو العيال الله لا يسيئك، ربنا يجعل في أيدك الشفا.

لم يكن الوقت يسمح لأي مقدمات لذا بادرهن قائلا بسرعه:

- الإثنين محتاجين جهاز التنفس الصناعي حالا، الحالة متستحملش

ارتسم القلق على الوجهين المُرهقين أمامه وتمتمت والدة الطفل بقلق:

- طب ما تحطوه عليه يا دكتور، و إن كان عالفلوس أنا هتصرف و..

قاطعها بألم:

- الموضوع ملوش علاقه بالفلوس، المشكلة أن في جهاز واحد بس.

ضربت الزوجة على صدرها بعنف بينما صرخت الأم بفزع:

- يعني إيه؟! أتصرف يا دكتور، مش دي شغلتك؟!
- للأسف مفيش حاجه بأيدي، اللي لازم نحدده من اللي هنحطه على الجهاز، و من اللي هيستمر بأنبوبة الاوكسجين!

عادت الأم تصرخ وهي تستند للجدار خلفها بعد أن فقدت قدماها القدرة على تحمل ما سمعت توًا:

- هي دي فيها كلام... حسين يا دكتور، ده عيل في ساته ابتدائي، هو لسه شاف الدنيا ، ولا اتمتع..

كانت مشاعره تهتف معها بنفس النداء، عندما تدخلت الزوجة هاتفه وكلماتها تنطلق بسرعه من بين دموعها:

- و محمود يا دكتور...و الله ملناش غيره ، ده نتشرد أنا و الأربع عيال، ده الكبير في سنة ثالثه. الله يخليك يا دكتور، والله من غيره مالنا غير الشارع، ترضاهالي، طب ترضاها للبنت دي.

قالتها وهي ترفع رضيعتها الغافية لا تدري شيئا عما حولها، أغمض عينيه بألم وحار في الجواب.

كأنما شعرت الزوجة بتأثره بكلمات الأم فهتفت تستعطفه:

- ده نفسه يطلع دكتور، أه وربنا ، يوم ماعرف بموت عم سعدون البقال الراجل الطيب اللي كان بيشتري منه حاجه حلوة بمصروفه

والايام اللي بتزنق فميعديش عليه كان يناديله لوحده و يديه مصاصه ولا شوية لبان.. لما ربنا اختاره لقيت الدموع في عينه بس مبيعيطش، و ماسك الكتب بياكلها أكل، خفت عليه، سألته بتعمل أيه؟ قالي بذاكر عشان أطلع دكتور وأعالج الناس ومحدش يموت من المرض ثاني، يقوم هو اللي يروح فيها يا دكتور! ده عايز يخفف الناس، عايز يبقى دكتور زيك، تحكم عليه يروح كده.. ده هو اللي في عيالي، طب خذوا عيل ثاني للكورونا وسيبولي حسين ، ده روحي وعنيه .. ده هو اللي هيخليني أم الدكتور ويرفع راسي بين الناس، ده انا مستحمله الهم والعوزه واقول بكرة حسين يعوضني و..

لم تستطع ان تتابع و أجهشت بالبكاء، بينما فرت دمعه من عين الطبيب أسرع يمحوها.

ربتت الزوجة على كتف الأم و هي تتمتم بأسى:

- عارفه أن الضنا غالي ياختي.

ثم رفعت عينين دامعتين للطبيب هاتفه:

- بس أنا عندي ٤ ومبشتغلش ولا حتى أقدر، طول عمري صحتي على قدها بعيد عنك عندي ربو من صغري، ومحمود هو اللي شايلنا ، وزي ما انت داري، شغال على ذراعه باليوميه ، ده ربنا عالم الكام يوم اللي راقدهم دول فاتوا علينا ازاي.. ده انا بعت حلق البنت الكبيرة اللي كان جابهولها بالدين لما العيال عايروها في المدرسه وقالولها زي الصبي. يالهوي محمود يروح ؟!! ده العيال هتسيب المدرسة و هنشحت كلنا

و فجأة وقبل أن ينتبه لما تفعله انحنت تقبل يده قائل و دموعها تغرقه:

- ونبي ما تحكم علينا بكده، ربنا ما يكسرلك وليه ، و يحفظ عرضك يا اخويا ما تضيع عيالي الاربعه.

توقف لحظه مشدوها ينقل بصره بين السيدتين اللتين أعجزهن البكاء عن مواصلة الحديث. تمثل لحظة الجسدين فاقدي الوعي، الطفل الذي يحمل آمال أهله، و الرجل الذي يحمل مستقبل أطفاله.

كان يظنها سهلة من قبل، من يستحق الحياة أكثر من طفل؟! لكنه يرى الأسطى محمود الآن أربعة أطفال في بوتقة واحده، وأمهم مريضة ربو؛ أي لو لحق بها المرض اللعين فأحتمالات نجاتها ضعيفة.

في حسم نادى على أحد العاملين بالمستشفى، دخل من فوره. رفعت المرأتين وجهان مترقبان إليه، أدار وجهه لكلتيهما و هو يهتف:

- جهزوا الأسطى محمود لجهاز التنفس الصناعي

صرخة قلب يحتضر انطلقت من خلفه، امتزج بها لهاث يحمد الله و يشكره.

التفت للمرأة التي افترشت الارض في صراخ وعويل و اقترب يساعدها على النهوض هاتفا:

- هبعث معاه ممرضه بجهاز ضخ اوكسجين محمول لمستشفى المركز، باذن الله خير.

تشبثت بيده و هي تهتف بأمل:

- يعني ممكن يخف، ممكن الجهاز ده ينفع؟!

حاول أن يبتسم فبدت ابتسامته كشق في ملامحه وهو يجيبها :

- باذن الله

كان يعرف أنه يكذب، يُلق في قلب الام الثكلى أمل كاذب عله يؤخر الألم سويعات قليلة.

تحرك خارجا من الغرفة ليعاود التعقيم متجها للجهاز المنشود و هو يدعوا الله أن يثبت انه جاهل لا يفقه شيئًا في الطب و أن ينجو الطفل.

تمت